السياسة الخارجية الروسية تجاه القضية الفلسطينية بين الماضي والحاضر

Russian foreign policy towards the Palestinian issue between the past and the present

د. رائد نجم: دكتوراة في القانون العام والعلوم السياسية ، غزة– فلسطين

Dr. Raed M. N. Negem: Ph. D. in Public law and political science, Gaza–Palestine

Email: Nijimraed@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i10.688

الملخص:

ناقشت هذه الدراسة السياسة الخارجية الروسية تجاه القضية الفلسطينية، ودور روسيا في عملية السلام. وقدمت لمحة تاريخية عن علاقة روسيا بفلسطين، بدءا من الحقبة السوفيتية وحتى الوقت الحالي. وتناولت الدراسة تطور سياسات روسيا تجاه فلسطين وكيف تأثرت بعوامل مختلفة بما في ذلك الاعتبارات الجيوسياسية، والمصالح الاقتصادية، والعوامل الأيديولوجية. وحللت الدراسة موقف روسيا الحالي من القضية الفلسطينية كقوة فاعلة في المجتمع الدولي، بما في ذلك موقفها من القضايا الرئيسية مثل وضع القدس، وحق العودة، واقامة الدولة الفلسطينية. وبينت الدراسة الدوافع وراء سياسات روسيا تجاه القضية الفلسطينية بما في ذلك رغبتها في الحفاظ على نفوذها في الشرق الأوسط، والتزامها بتعزيز السلام في المنطقة نظراً لقربها من الحدود الجنوبية التي تمثل الخاصرة الرخوة لروسيا. كما ناقشت الدراسة التحديات التي تواجهها روسيا في جهودها للعب دور أكبر في القضية الفلسطينية. وتناولت الدراسة آفاق التعاون المستقبلي بين روسيا وفلسطين وامكانية ان تلعب روسيا دوراً اكبر في عملية السلام. بشكل عام قدمت الدراسة تحليلاً شاملاً لسياسات روسيا تجاه القضية الفلسطينية وأثارها على عملية السلام في الشرق الاوسط.

الكلمات المفتاحية: القضية الفلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية، الدولة الفلسطينية، السياسة الخارجية الروسية، العلاقات الروسية الفلسطينية، عملية السلام، الشرق الأوسط، الاحتلال الاسرائيلي.

Abstract:

This study discussed Russia's foreign policy towards the Palestinian issue, and Russia's role in the peace process. It gave a historical overview of Russia's relationship with Palestine, starting from the Soviet era to the present time. The study examined the development of Russia's policies towards Palestine and how they were influenced by various factors, including geopolitical considerations, economic interests, and ideological factors. The study analyzed Russia's current position on the Palestinian issue as an active force in the international community, including its position on key issues such as the status of Jerusalem, the right of return, and the establishment of a Palestinian state. The study revealed the motives behind Russia's policies towards the Palestinian issue, including its desire to maintain its influence in the Middle East, and its commitment to promoting peace in the region due to its proximity to the southern borders, which

represent Russia's soft flank. The paper also discussed the challenges faced by Russia in its efforts to play a greater role in the Palestinian issue. The discussion focused on the prospects of future cooperation between Russia and Palestine and the possibility of Russia playing a greater role in the peace process. In general, the study provided a comprehensive analysis of Russia's policies towards the Palestinian issue and its impact on the Middle East peace process.

Keywords: Russian foreign policy, Palestinian issue, Russian–Palestinian relations, peace process, Middle East, Israeli occupation, Palestine Liberation Organization, Palestinian state.

المبحث الأول: الاطار العام للدراسة

المقدمة:

مرت العلاقات الروسية مع الأرض المقدسة وسكانها الأصليين بسلسلة من التحولات المعقدة والدرامية على مر القرون. وكان لروسيا علاقة طويلة وخاصة بفلسطين، باعتبارها الأرض المقدسة للمسيحية، حيث دعمت السكان العرب المحليين، وخاصة المجتمعات المسيحية الأرثوذكسية، ضد الإمبراطورية العثمانية ورجال الدين اليونانيين. وفي القرن ال16، أصبحت روسيا الحامي الرسمي للطوائف المسيحية الأرثوذكسية في الشرق الأوسط، بما في ذلك تلك الموجودة في فلسطين. وفي القرن ال19، سعت الإمبراطورية الروسية إلى تحقيق التوازن بين النفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة وزيادة مكانتها الدولية كقوة عظمى أوروبية قادرة على حماية المسيحيين الأرثوذكس. وخلال الفترة الشيوعية، دعم البلاشفة حركات التحرر الوطني للبلدان النامية في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك فلسطين، واعترفوا بالحقوق الاجتماعية والسياسية للشعب الفلسطيني. وقد أدى عدم وجود نفوذ للاتحاد السوفيتي على إسرائيل إلى إعاقة جهوده في القضية الفلسطينية، لكن ذلك تغير في أواخر فترة جورباتشوف. بحلول عام 1991، تمت استعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين، وبدأت العلاقات التجارية في الزيادة بسرعة.

لم يعد الاتحاد الروسي ما بعد السوفيتي قوة ثورية، بل أصبح أضعف من سابقاته. وكانت سياسته الخارجية تتبع خطا رفيعا لأنها ترى التعاون الوثيق مع إسرائيل كشرط مسبق ضروري للعلاقات الروسية الأمريكية الجيدة. وقد أثار تعامل موسكو المتوازن مع عملية السلام العربية الإسرائيلية استياء منتقدي يلتسين المحليين، لكنه حصل على مقعد لروسيا على طاولة المفاوضات

في مؤتمر مدريد. وواصل الاتحاد الروسي ما بعد الاتحاد السوفياتي دعم القضية الفلسطينية، ولكنه كان حريصا أيضا على عدم عزل إسرائيل. كان الحفاظ على التوازن عملاً صعباً، ولكن روسيا تمكنت من الحفاظ على علاقات جيدة مع كلا الجانبين.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

تكمن اشكالية الدراسة في اختبار السياسة الخارجية الروسية بين الماضي والحاضر تجاه القضية الفلسطينية في ظل الصعود الروسي على مسرح السياسة الدولية و محاولة روسيا العودة لمكانتها كقوة عظمى، وتغيير النظام الدولي الحالي بإيجاد توازنات دولية جديدة، وذلك من خلال تناول العلاقات الروسية الفلسطينية التاريخية والمعاصرة، والدور الروسي في عملية السلام، ومحددات السياسة الروسية، وأبرز التحديات التي تواجهها لتطوير دورها للعب دور اكبر في عملية السلام، ودوافع السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية. والسؤال الرئيس للبحث هو:

ما هي السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية بين الماضي والحاضر؟

ويتفرع منه التساؤلات الفرعية التالية:

1. ما هو تاريخ العلاقات الروسية الفلسطينية؟
2. ما هي السياسة الخارجية الروسية المعاصرة تجاه القضية الفلسطينية؟
3. ما هو الدور الروسي في عملية السلام؟ وما هي محددات السياسة الروسية؟ وما هي التحديات التي تواجهها؟ وما هي دوافع هذه السياسة؟

منهج الدراسة:

يتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لوصف سياسات روسيا الاتحادية تجاه القضية الفلسطينية وتحليلها. والتحليلات الوصفية هي مرحلة أولية من مراحل معالجة البيانات التي تنشئ ملخصًا للبيانات التاريخية للحصول على معلومات مفيدة وإعداد البيانات لمزيد من التحليل. ويوفر تجميع البيانات واستخراجها الامكانية لتنظيم البيانات وتحديد الأنماط والعلاقات فيما بينها التي لا يمكن التوصل اليها بطرق أخرى. وتوفر التحليلات الوصفية معلومات حول ما حدث. وتقدم التحليلات التشخيصية نظرة أعمق على البيانات لمحاولة فهم أسباب الأحداث والسلوكيات. وتستخدم التحليلات التنبؤية لتحديد الاحتمالات والاتجاهات المستقبلية، وتقدم معلومات حول ما قد يحدث في المستقبل. ويتم تطبيق التحليلات العلاجية لمحاولة تحديد أفضل النتائج للأحداث، مع الأخذ في الاعتبار المتغيرات، واقتراح قرارات متعددة للاستفادة بشكل أفضل من أي فرصة مستقبلية أو تخفيف مخاطر

مستقبلية. ويساهم هذا المنهج في التعرف على ظاهرة الدراسة، ووضعها في إطارها الصحيح، وتفسير جميع الظروف المحيطة بها، وتحليلها ومعرفة العلل والأسباب.

كما سيتم استخدام المنهج التاريخي لاستعراض الأحداث التاريخية للسياسة الخارجية الروسية تجاه القضية الفلسطينية بين الماضي والحاضر، وخاصة الأحداث التاريخية ذات الدلالة التي تخدم فهم الحاضر، واستخلاص النتائج والتعميمات بما يخدم الغرض من الدراسة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى ما يلي:

1. التعرف إلى تاريخ السياسة الخارجية الروسية تجاه القضية الفلسطينية.
2. دراسة السياسة الخارجية الروسية المعاصرة تجاه القضية الفلسطينية.
3. مقاربة الدور الروسي في عملية السلام ومحددات سياسة روسيا الخارجية تجاه القضية الفلسطينية، والتحيات التي تواجهها ودوافع هذه السياسة.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول قضية تهم الباحثين والسياسيين والرأي العام على حد سواء وهي السياسة الخارجية الروسية تجاه القضية الفلسطينية في ضوء الصعود الروسي والتطورات التي برزت على مسرح السياسة الدولية حيث يتأثر العالم كثيراً بصراع القوى الكبرى، والذي له اثاره على منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية وعلى القضية الفلسطينية بشكل خاص. وهذا يدفعنا إلى البحث في الدور الروسي في عملية السلام، وتاريخ السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية، ومحدداتها، والتحديات التي تواجهها، ودوافعها.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

- **الإطار الزماني:** ستغطي هذه الدراسة السياسة الخارجية الروسية تجاه القضية الفلسطينية بين الماضي والحاضر، وستركز على دراسة الفترة الممتدة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور الاتحاد الروسي وحتى الوقت الحالي (1991– 2023).
- **الإطار المكاني:** ستركز الدراسة مكانياً على فلسطين ومنطقة الشرق الاوسط.

تقسيم الدراسة:

- المبحث الاول: الاطار العام للدراسة.
- المبحث الثاني: لمحة تاريخية حول العلاقات الروسية الفلسطينية.

- المبحث الثالث: السياسة الروسية المعاصرة تجاه القضية الفلسطينية
- المبحث الرابع: دور ومحددات وتحديات السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية ودوافعها
- الخاتمة

المبحث الثاني: لمحة تاريخية حول العلاقات الروسية الفلسطينية:

لطالما كان صانعو السياسة الروس والسوفيت مدركين لوجود عدد كبير من السكان العرب المسلمين والمسيحيين المستقرين في فلسطين. وقد تباينت المواقف الروسية تجاههم بشكل كبير اعتمادا على العلاقات الروسية (السوفيتية) الصهيونية الإسرائيلية والاعتبارات الدولية الأوسع. ويمكن تقسيم العلاقات الفلسطينية الروسية الى ثلاثة مراحل:

1) العلاقات المبكرة (القرنان 16-19)

كانت لروسيا علاقة طويلة ومعقدة مع فلسطين؛ ففي أوائل العصور الوسطى، سافر الحجاج الروس إلى فلسطين وأقاموا علاقات قوية مع المجتمع المسيحي المحلي. وفي القرن ال16، أسست روسيا القيصرية علاقات قوية مع الطوائف المسيحية الأرثوذكسية في الشرق الأوسط، وخاصة تلك الموجودة في فلسطين، وأصبحت حاميتهم بعد توقيع معاهدة (كيتشوك كاينارجي) بين روسيا والدولة العثمانية عام 1774. وفي القرن ال19، تأسست الجمعية الفلسطينية الإمبراطورية الأرثوذكسية لتوفير المساعدات المادية والفرص التعليمية للسكان العرب الأصليين. وكانت سياسات الحكومة الروسية المعادية لليهود أحد الأسباب الرئيسية لتطور الحركة الصهيونية وبدء الهجرة اليهودية إلى فلسطين بدءا بالموجة الاولى من شرق أوكرانيا عام 1882، حتى أن بعض المسؤولين الروس شجعوا الهجرة اليهودية إلى فلسطين كوسيلة لحل مشكلة السكان اليهود الفقراء في الإمبراطورية الروسية وإنشاء دولة صديقة في الشرق الأوسط قادرة على استيعاب ملايين اليهود. كما سعت روسيا إلى مواجهة نفوذ بريطانيا وفرنسا في المنطقة، وحماية مصالحها في الأرض المقدسة [1].

2) الثورة الروسية وأوائل الحقبة السوفيتية (1917-1947)

غيرت الثورة البلشفية عام 1917 الطريقة التقليدية التي تفاعلت بها روسيا مع العالم العربي والشرق الأوسط. وكانت الحكومة السوفيتية الجديدة شيوعية وملحدة، ولم تعد تهتم بالأقليات المسيحية أو الأماكن المقدسة. وبدلا من ذلك، أعلن البلاشفة دعم نضال التحرر الوطني للشعوب المستعمرة ضد الهيمنة الإمبريالية واعتبروها تقدمية وثورية. وقد دعمت روسيا السوفيتية العرب الفلسطينيين منذ البداية. وفي عام 1930، وصفت اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية الصهيونية بأنها "تعبير عن

[1] Andrej Kreutz, Russia in the Middle East: Friend or Foe? Praeger Security International, London, 2007. P. 45-46.

استغلال القوى العظمى للبرجوازية اليهودية". علاوة على ذلك، فإن الحزب الشيوعي لفلسطين، الذي أسسه مهاجرون يهود في عام 1919 عندما تم قبوله في الكومنترن، نصح بشدة "بدعم الحرية الوطنية للشعب العربي ضد الاحتلال البريطاني الصهيوني. وبعد الانتفاضة العربية الفلسطينية في أغسطس 1929، قدمت أمانة اللجنة المركزية للحزب تحليلا نقديا للغاية للوضع الاجتماعي والسياسي في فلسطين، مبينة أن أهداف المرحلة الثانية من "الاحتلال الصهيوني" هي نزع الملكية وإقصاء العرب ثم استعمار اليهود لهذه المناطق [1].

وقد تأسس الحزب الشيوعي الفلسطيني عام 1919، لكنه كان منقسما بين الفصائل العربية واليهودية ولم يكن له تأثير سياسي يذكر. من الناحية العملية، كان دعم الاتحاد السوفيتي للفلسطينيين العرب قليل بسبب مشاكله الداخلية وعزلته الدولية. كما أدى تدمير الشيوعيون للمؤسسات والمنظمات القيصرية، التي شملت المدارس والجمعيات الخيرية الإسلامية، إلى نفور العديد من العرب [2].

3) الحرب الباردة (1947-1991)

غيرت الحرب العالمية الثانية وما بعدها مباشرة الوضع الدولي للاتحاد السوفيتي والوضع في الشرق الأوسط. خرجت موسكو منتصرة في عام 1945 كواحدة من القوتين العظميين في العالم الجديد، وتمكنت من ممارسة نفوذ حقيقي في المناطق المجاورة. وبعد الحرب مباشرة، واصل الاتحاد السوفيتي دعم الفلسطينيين في اطار سياسته المتمثلة في دعم الحركات الوطنية وإيجاد أرضية مشتركة مع حركة التحرير الوطني العربية. في أواخر ربيع عام 1946، شجب الاتحاد السوفياتي والأحزاب الشيوعية في الشرق الأوسط تقسيم فلسطين ودعوا بدلا من ذلك إلى دولة عربية يهودية موحدة. ومع ذلك، انعكس هذا الموقف السوفيتي في عام 1947 عندما اعترفت موسكو بحقوق اليهود في دولتهم وصوتت لصالح تقسيم فلسطين [3].

أيد السوفييت التقسيم لأنهم اعتبروا الحكومات العربية والقادة العرب أدوات للإمبريالية البريطانية. ومن المؤكد أن الإجراءات والتصريحات المناهضة للسوفييت التي أدلى بها بعض الممثلين العرب ساهمت في ذلك. كما كان للمحرقة اليهودية في شرق ووسط أوروبا، والدعم الذي تلقاه الاتحاد السوفيتي خلال الحرب ضد النازية من الشتات اليهودي العدو المشترك تأثير بلا شك على القادة السوفييت. وقد رأى المخططون السوفييت أن الدولة اليهودية الوليدة هي أحد الأصول المحتملة في مساعيهم لتقليل التأثير الساحق لبريطانيا العظمى في الشرق الأوسط. كان السوفييت يقدرون الأهمية الاستراتيجية الحيوية للمنطقة، وكانوا يبحثون عن حلفاء وعملاء محليين، ورأوا في بريطانيا عقبة أمام

---

[1] Ibid P. 45-46.

[2] Ibid.

[3] Ibid, P. 46-47.

تعزيز نفوذهم[1]. وخلال الجلسة العامة 125 للجمعية العامة للأمم المتحدة، أعتبر وزير الخارجية الروسي اندريه جروميكو أن حل المشكلة الفلسطينية إلى دولتين منفصلتين سيكون ذا أهمية تاريخية عميقة، لأن هذا القرار سوف يلبي المطالب المشروعة للشعب اليهودي [2].

منذ البداية، أراد الاتحاد السوفياتي أن يتم تنفيذ تقسيم فلسطين بالكامل، بما في ذلك إنشاء دولة عربية فلسطينية وتدويل القدس. في خطابه الشهير في 26 نوفمبر 1947، أشار وزير الخارجية الروسي أندريه جروميكو إلى أن" الاتحاد السوفيتي أيد التقسيم باعتباره الحل العملي الوحيد في ضوء عدم قدرة الشعبين اليهودي والعربي على العيش معا ". واشار جروميكو الى دعم الاتحاد السوفيتي لمطالبات الوكالة اليهودية في فلسطين كان لهدف واحد ومحدود: إنهاء الحكم البريطاني في فلسطين، وإخراج القوات البريطانية الحاكمة وتحييد الأراضي من خلال إنشاء دولة صغيرة ومستقلة. وتحويل تلك الدولة في نهاية المطاف إلى كيان مؤيد للاتحاد السوفيتي [3].

كان الدعم السوفيتي للقضية الصهيونية كبيرا وساهم بشكل شبه أساسي في إنشاء إسرائيل كدولة. وكانت موسكو أول من منح الاعتراف الإسرائيلي بحكم القانون في 18 مايو 1948، بعد ثلاثة أيام فقط من إعلانها كدولة. كما سمح بهجرة مائتي ألف يهودي من أوروبا الشرقية. كما لعبت الدول التي يهيمن عليها السوفييت، وخاصة تشيكوسلوفاكيا، دورا مهما للغاية من خلال توفير إمدادات الأسلحة والذخائر للهاغاناه، الذراع العسكرية للوكالة اليهودية، بينما لم تتمكن أي دولة عربية من الحصول على الدعم العسكري السوفيتي في هذا الوقت. وقد انتهى دعم موسكو النشط للقضية الصهيونية بحلول نهاية عام 1948، على الرغم من أن موسكو لم تسحب اعترافها بدولة إسرائيل وشرعيتها. وقد شارك الاتحاد السوفيتي في صياغة ودعم قرار الأمم المتحدة رقم 194 الصادر في 11 ديسمبر 1948، والذي دعا للعودة والتعويض. ومع ذلك، منذ نهاية عام 1949، كان الدفاع السوفيتي عن حقوق الفلسطينيين في أراضيهم وممتلكاتهم المفقودة على أساس فردي يتعلق بحق عودة اللاجئين ودون ذكر حق الفلسطينيين في تقرير المصير الوطني [4].

تحول الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الى قوتين رئيسيتين في الشرق الأوسط في منتصف إلى أواخر عام 1950. ولم يتم صعودهم بالكامل، وكسوف كل من القوى العظمى المهيمنة سابقا في المنطقة، بريطانيا وفرنسا، إلا خلال أزمة السويس عام 1956، عندما تعرضت الأخيرة، بالتواطؤ

(1) Rashid Khalidi, The Iron Cage: The Story of the Palestinian Struggle for Statehood. Boston: Beacon Press, 2007. P. 128.

(2) Ibi, P. 47-48.

(3) Arnold Krammer, Soviet Motives in the Partition of Palestine, 1947-48. Journal of Palestine Studies, 1973. P. 111.

(4) Ibid, P. 48.

مع إسرائيل، للإذلال من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، مما أدى إلى تراجع غزوهم الثلاثي لمصر [1].

في نهاية زيارة الرئيس المصري جمال عبد الناصر لموسكو في 15 مايو 1958، أعاد بيان مشترك بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة التأكيد على "دعم الحكومات الكامل للحقوق المشروعة للعرب الفلسطينيين." وفي وقت لاحق، دعا البيان السوفيتي الجزائري المشترك الصادر في 6 مايو 1964, إلى إيلاء اهتمام خاص إلى "الحقوق المشروعة وغير القابلة للتصرف للعرب الفلسطينيين"، وتكررت العبارة نفسها في البيان الافتتاحي الرسمي للزعيم الروسي خروتشوف خلال زيارته لمصر بعد بضعة أسابيع، وكذلك في عدة مناسبات أخرى. ومع ذلك، فإن رد الفعل السوفياتي على الحركة الفلسطينية، التي ظهرت في عام 1960 مع منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمة فتح، ظلت حذرة لفترة طويلة، واعتبرت اهدافها بتصفية دولة إسرائيل، وإقامة دولة فلسطينية ديمقراطية غير واقعية. وقد نظر السوفييت إلى الدولة الفلسطينية على أنها عقبة أمام ما اعتبرته موسكو حلا عادلا لمشكلة العرب الفلسطينيين، والذي كان من المفترض ان يتم وفقا لقرارات الأمم المتحدة التي تنص على عودة اللاجئين وتعويض أولئك الذين لم يعودوا [2].

ابتداء من مايو 1964، أقامت موسكو اتصالات سرية مع القادة الفلسطينيين، ومنذ عام 1965 تطور تعاونا سوفيتيا نشطا مع العديد من المنظمات الاجتماعية الفلسطينية مثل الاتحاد العام للطلاب الفلسطينيين، والاتحاد العام للعمال الفلسطينيين، والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية. وبعد حرب الأيام الستة في يونيو 1967، واحتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة، وتزايد الأهمية السياسية للمقاومة الفلسطينية، بدأت العلاقات السوفيتية الفلسطينية في التحسن. في الواقع، جاءت نقطة التحول بعد زيارة ياسر عرفات السرية لموسكو كجزء من وفد عبد الناصر في يوليو 1968. وكانت أهم نتيجة لهذه الزيارة هي القرار السوفيتي في يونيو 1969 الاعتراف بالفلسطينيين كشعب له الحق في تقرير المصير، والاعتراف بالمنظمة كحركة تحرير وطني شرعية، ممثلة للشعب الفلسطيني المنخرط في النضال ضد الإمبريالية من أجل الاستقلال عنها. وخلصت برقية سوفيتية إلى القمة العربية في ديسمبر 1969 إلى أن أي تسوية في الشرق الأوسط ستحتاج إلى تأمين الحقوق والمصالح المشروعة للشعب العربي في فلسطين وهو وصف تم استخدامه في قرار المؤتمر الشيوعي الدولي في يونيو

[1] Rashid Khalidi, The Iron Cage: The Story of the Palestinian Struggle for Statehood. Boston: Beacon Press, 2007. P. 128.

[2] Ibid, P. 49.

1969. وقدم هذا الوصف للفلسطينيين مكانة أمة، حيث كان السوفييت سابقا يتحدثون فقط عن السكان العرب في فلسطين أو العرب الفلسطينيين [1].

حدث تحول حاسم في العلاقات السوفيتية الفلسطينية بين عامي 1972 و 1974 إلى حد كبير نتيجة لفقدان موسكو لنفوذها في مصر ولتنامي الدور الأمريكي في المنطقة. بالنسبة للسوفييت، وفرت القضية الفلسطينية فرصة فريدة لزيادة نفوذهم ليس فقط في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ولكن في المنطقة بأكملها وربما حتى في العالم الثالث. في الوقت نفسه، احتاجت منظمة التحرير الفلسطينية إلى اعتراف موسكو لنقل نضالها إلى الساحة الدولية، وتعزيز شرعيتها وأخيرا للحصول على مزيد من الدعم المادي من الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية الأخرى. وفي صيف عام 1974، أعلن الاتحاد السوفياتي موافقته على افتتاح مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في موسكو، ودعم اقامة دولة فلسطينية. وفي 8 سبتمبر من نفس العام، ذكر الزعيم السوفيتي نيكولاي بودغورني لأول مرة علنا "حقوق الفلسطينيين في إقامة دولتهم الخاصة بشكل أو بآخر." وبعد اتفاقيات كامب ديفيد في سبتمبر 1978، أعلن الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف أن " هناك طريقا واحدا فقط نحو تسوية حقيقية بتحرير كامل لجميع الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل في عام 1967، مع الاحترام الكامل الذي لا لبس فيه للحقوق المشروعة للشعب العربي في فلسطين، بما في ذلك الحق في إنشاء دولته المستقلة"[2].

في نهاية زيارة عرفات لموسكو، في الفترة من 29 أكتوبر إلى 1 نوفمبر 1978، اعترفت السلطات السوفيتية أخيرا بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها" الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني." وكان قد تم افتتاح مكتب لها عام 1976. ومع ذلك لم ينحرف القادة وعلماء السياسة السوفييت أبدا عن الاعتراف الذي تم تبنيه في عام 1947 فيما يتعلق بالشعب الإسرائيلي ودولته القومية. وقد مثل الجزء الأخير من سبعينات القرن العشرين ذروة الدعم السوفييتي للفلسطينيين، حيث ساهم بشكل كبير في نجاحهم الدبلوماسي، والذي بدأ بمنح مركز المراقب في الأمم المتحدة لمنظمة التحرير الفلسطينية في عام 1974. كما حث الاتحاد السوفياتي القادة الفلسطينيين على قبول القرار 242، الذي يعني ضمنا الاعتراف بإسرائيل وأعرب عن تفضيل واضح للأساليب السياسية على الأساليب العسكرية [3].

---

[1] Golem, Galla, The Soviet Union and the Palestine Liberation Organization, Praeger Publishers, USA, 1980. P. 10-11.

[2] Ibid, P. 50.

[3] Golem, P. 14.

في مارس 1985، تولى ميخائيل جورباتشوف السلطة وأحدث "تفكيره الجديد" تغييرات جذرية في السياسة الخارجية السوفيتية، وكانت سياسته في الشرق الأوسط تهدف إلى فتح الاتحاد السوفيتي على الغرب، وخاصة الولايات المتحدة. في محاولة لإنهاء الحرب الباردة مع القوة العظمى الأمريكية والتخفيف من المشاكل الاقتصادية السوفيتية، أراد جورباتشوف ومستشاروه استعادة العلاقات السوفيتية الإسرائيلية والحد من الدعم السوفيتي السابق للقضايا القومية العربية. حدثت أولى الخطوات المفتوحة والحاسمة في الاتجاه الجديد خلال زيارة عرفات لموسكو في أبريل 1988. في هذا الوقت، وفي الأشهر التالية قبل جلسة المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر في نوفمبر 1988، تعرض عرفات وغيره من القادة الفلسطينيين، مثل جورج حبش ونايف حواتمة، لضغوط سوفيتية لقبول القرار 242 دون أي تنازلات إسرائيلية. ومع ذلك, كان السوفييت مترددين في الاعتراف بإنشاء دولة فلسطينية في جلسة المجلس الوطني الفلسطيني في نوفمبر 1988، وحصلوا على إشادة وزارة الخارجية الأمريكية والحكومة الإسرائيلية لجهودهم "لمنع هذا الكيان الجديد من الانضمام إلى الأمم المتحدة أو منظمة الصحة العالمية في عام 1989 [1].

كانت الهجرة اليهودية إلى إسرائيل من أكثر القضايا إثارة للجدل بين السوفييت والفلسطينيين والعرب وإسرائيل. من عام 1990 إلى عام 1992، غادر حوالي 400000 مهاجر الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل، مما أدى إلى تغيير تركيبتها الديموغرافية والسياسية بشكل كبير وتفاقم قضية مستقبل الفلسطينيين في الأراضي المحتلة وفي المنفى. وأثار عدم أخذ فريق غورباتشوف كل هذه الاعتبارات في الحسبان خيبة أمل ومرارة متنامية بين الفلسطينيين. وقد أدت حرب الخليج الأولى وتعاطف الفلسطينيين المؤيدين للعراق، إلى جانب الدعم المعلن من بعض القادة الفلسطينيين، بما في ذلك "وزير خارجية" منظمة التحرير الفلسطينية، فاروق القدومي، لمحاولة انقلاب موسكو في أغسطس 1991، إلى تفاقم العلاقات مع السلطات السوفيتية. وأصبحت العلاقات الفلسطينية أقل أهمية بالنسبة لموسكو من العلاقات السوفيتية مع إسرائيل. ومع انهيار الاتحاد السوفيتي انتقد الفلسطينيون سياسة جورباتشوف بمرارة بعد أن شعروا بالخيانة من قبل السوفييت [2].

المبحث الثالث: السياسة الروسية المعاصرة تجاه القضية الفلسطينية

بغض النظر عن جميع الاعتراضات الفلسطينية، استمرت سياسة جورباتشوف من قبل الاتحاد الروسي الذي لم يرغب رئيسه بوريس يلتسين ووزير خارجيته أندريه كوزيريف في تعريض علاقتهما الوثيقة مع الولايات المتحدة للخطر من خلال تبني أي شيء مختلف عن المواقف التي تدعو إليها واشنطن. وفي ظل قيادة بريماكوف، كان نهج موسكو حذراً تجاه الشرق الأوسط وكان دعمها

[1] Andrej Kreutz, P. 51.

[2] Ibid. P. 51-52.

للفلسطينيين غير فعال، ومع ذلك برز اهتمام روسي بالصراع العربي الإسرائيلي. وقد شهدت العلاقات الروسية الفلسطينية بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي خمسة تحولات مهمة مع العديد من الآثار الدولية [1]:

1) المرحلة الأولى : فترة ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي (1991-1995)

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، في عام 1991، خضعت سياسة روسيا تجاه فلسطين لتحول كبير آخر، حيث واجهت روسيا تراجعاً استراتيجيا في المنطقة وفقدت نفوذها وهيبتها. واعتمدت نهجا عمليا إزاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يراعي التطلعات الفلسطينية والإسرائيلية فضلا عن الواقع الإقليمي والدولي. كان أندريه كوزيريف وزير الخارجية الروسي، وكان هناك انسحاب شبه كامل وقبول سلبي للمواقف الأمريكية الإسرائيلية. كما زادت روسيا من تعاونها مع الولايات المتحدة والغرب بشكل عام في المنطقة. وانضمت إلى مؤتمر مدريد للسلام في عام 1991. ودعمت روسيا اتفاقيات أوسلو في عام 1993.

خلال هذه الفترة، عكست العلاقات الروسية الفلسطينية تطور العلاقات الروسية الشرق أوسطية وسياسة موسكو الخارجية. أظهرت روسيا استقلالها في سياستها تجاه بعض دول الشرق الأوسط مثل إيران والعراق، ولكن فيما يتعلق بالفلسطينيين والصراع العربي الإسرائيلي، كانت دبلوماسيتها محدودة بشكل واضح حتى عام 2005 على الأقل. خلال هذه الفترة، كانت هناك ثلاث قضايا رئيسية تؤثر على دبلوماسيتها:

1. كانت العلاقات القوية مع الولايات المتحدة حيوية لموسكو ما بعد الاتحاد السوفيتي، ومن أجل تنميتها كان القادة الروس بحاجة إلى اخذ الموقف الأمريكي المؤيد لإسرائيل في عين الاعتبار وتجنب الأعمال العدائية السابقة.
2. كان على الاتحاد الروسي التركيز على أراضيه ولم يكن لديه حاجة ملحة أو موارد لتوسيع نفوذه في الشرق العربي.
3. اكتسبت العلاقات الروسية الإسرائيلية قوة وأهمية خاصة يمكن إرجاعها إلى البيريسترويكا لغورباتشوف. وقد عزز العدد الكبير من المهاجرين الناطقين بالروسية في إسرائيل وتأثير وسائل الإعلام الموالية لإسرائيل في روسيا هذه الروابط.

على الرغم من هذه القضايا، حاولت نخبة السياسة الخارجية الروسية في فترة ما بعد الاتحاد السوفيتي الحفاظ على قدر ضئيل من الوجود الروسي في العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية، حيث أرسل الرئيس يلتسين وزير الخارجية كوزيريف إلى تونس للقاء زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ياسر

[1] Andrej Kreutz, P. 53.

عرفات دون استشارة واشنطن في 12 مارس 1994، وحث على إعادة عقد مؤتمر مدريد، وأيد مطالبة العرب بمراقبين دوليين لحماية الفلسطينيين في الضفة الغربية على أثر مذبحة الحرم الابراهيمي في فبراير 1994. وفي أبريل، قام عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين بزيارتين منفصلتين إلى موسكو للتشاور مع يلتسين. وعلى الرغم من أن موسكو لم تكن تنسق مبادرتها مع واشنطن، إلا أنها ظلت متوازنة [1].

2) المرحلة الثانية: الإجماع الوطني بقيادة يفغيني بريماكوف (1996 –1998)

كانت المرحلة الثانية هي "الإجماع الوطني" بقيادة يفغيني بريماكوف، وزير الخارجية الروسي ورئيس الوزراء فيما بعد، والتي تضمنت بعض الدعم المتجدد، ولكن المحدود، واللفظي بشكل أساسي للفلسطينيين [2]. وفي تلك الفترة عمل بريماكوف على إعادة دبلوماسية موسكو إلى واجهة العلاقات العربية الإسرائيلية. جاءت الفرصة في أبريل 1996، عندما شنت إسرائيل عملية عناقيد الغضب ردا على قصف مقاتلي حزب الله للمستوطنات في شمال إسرائيل في جنوب لبنان. سافر بريماكوف إلى إسرائيل ولبنان وسوريا، وعرض نفسه وسيطًا في الصراع وألمح إلى أن روسيا ستكون قادرة على ممارسة نفوذها على القوات في كل من سوريا وإيران التي يمكن أن تساعد في تطبيع الوضع في لبنان. ووصف لقائه برئيس الوزراء بيريز بأنه "صعب"، وبحسب ما ورد أخبره بيريز أن إسرائيل مهتمة فقط بالوساطة الأمريكية. وجاءت رسالة مماثلة إلى بريماكوف من واشنطن، في مكالمة هاتفية من وزير الخارجية وارن كريستوفر، الذي قال، "يمكننا التعامل مع هذا بدونك" [3].

حظي الصراع الإسرائيلي الفلسطيني مع بريماكوف باهتمام جديد عام 1996، حيث انطلق في أكتوبر في رحلة أخرى إلى الشرق الأوسط، وزار سوريا ولبنان والأردن وإسرائيل والسلطة الفلسطينية. كانت حماسة العالم العربي تجاه موسكو قد بردت، ويرجع ذلك جزئيًا إلى إغلاق صمام الدعم المالي والعسكري، وإلى الحرب الروسية في الشيشان المسلم ودعمها لصرب البوسنة، وأيضًا لأن كوزيريف جعل اهتمام موسكو بإسرائيل أكبر بكثير من جيرانها، ومع ذلك أصر بريماكوف على محاولة إحياء الصداقات السابقة في العالم العربي [4]. ووضع روسيا كوسيط بين إسرائيل وسوريا،

---

[1] Robert H. Donaldson and Joseph L Nogee, The Foreign Policy of Russia: Changing Systems, Enduring Interests, fifth edition, Routledge London and New York, 2015. P. 329.

[2] Andrej Kreutz, P. 53.

[3] Robert and others,. P. 330.

[4] Ibid.

خاصة في عام 1997 عندما قام بجولة في المنطقة. ومع ذلك، ظلت هذه الجهود محدودة في نتائجها[1].

وجلب بريماكوف معه براغماتية متجددة في علاقات روسيا مع الشرق الأوسط، من خلال مبيعات الأسلحة لحكومات مختارة على الرغم من أن يلتسين أكد على ما يبدو لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن روسيا لن تبيع أسلحة حديثة إلى سوريا [2]. وبقيت مبيعات الاسلحة لسوريا وايران عقبة رئيسية أمام قبول روسيا كشريك مسؤول من قبل جميع الأطراف في الصراع الإقليمي، حيث ابلغ نتنياهو الروس لدى زيارته موسكو عام 1997 إنه "لا ينبغي أن يكون هناك طاهيان في نفس المطبخ"، وبعبارة أخرى، أن مساعدتهم ليست ضرورية في الجهود المبذولة لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي، لكن زيارة الرئيس المصري حسني مبارك، لموسكو بعد بضعة أشهر، أظهرت تشجيع مصر على دور روسي أكبر في المنطقة [3]. وقد أدت زيارات بريماكوف المتكررة خلال السنوات الأخيرة من إدارة يلتسين إلى بعض التحسن في العلاقات بين جانبي الصراع العربي الإسرائيلي، لكن جهوده لتحفيز عملية السلام لم تحقق نجاحًا يذكر.

3) المرحلة الثالثة: المرحلة الاولى لبوتين (2000–2005)

يمكن تقسيم المرحلة الثالثة، أو المرحلة الأولى لبوتين، إلى جزأين: الجزء الأول من يناير 2000 إلى أبريل 2002، والجزء الثاني من أبريل 2002 إلى ربيع 2005. وتميز الجزء الأول بزيادة التعاون مع إسرائيل وخروجا عن سياسة بريماكوف المؤيدة للعرب. في الجزء الثاني، لم تكن هناك تغييرات كبيرة في التعاون مع إسرائيل ولكن تم التركيز بشكل أكبر على مسألة حقوق الفلسطينيين وانتقاد القمع الإسرائيلي في الأراضي المحتلة. وبذلت موسكو جهوداً أكثر وضوحاً لزيادة تعاونها مع الدول العربية والإسلامية. ويمكن رؤية اسباب هذه التغييرات، على المستويين الإقليمي والعالمي، حيث شعر القادة الروس بأنهم أقوى سياسياً وأكثر ثقة بالنفس مما شعروا به منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، وقد أصيب معظمهم بخيبة أمل عميقة بسبب أحادية واشنطن، واحتلالها للعراق، وتعديها على مناطق الاتحاد السوفيتي السابق. كما ظهرت حاجة روسيا أيضًا إلى دعم العرب والمسلمين بسبب الأقليات المحلية الإسلامية، بما في ذلك الشيشان. وأخيرًا وليس آخرًا، أرادت موسكو تحقيق

[1] Philipp Casula and Mark N. Katz, The Middle East, Routledge Handbook of Russian Foreign Policy. (ed) Andrei Tsygankov, Abington: Routledge, London and New York, 2018. P. 299.

[2] Robert and others, P. 330.

[3] Ibid.

استقرار استراتيجي في شرق البحر الأبيض المتوسط ، ورأت أن التنازلات الإسرائيلية للفلسطينيين هي شروط مسبقة ضرورية لتحقيق السلام والأمن في المنطقة [1].

كان النهج الروسي تجاه الصراع الإسرائيلي الفلسطيني قد تغير خلال رئاسة بوتين مما كان عليه في الأوقات السابقة، كما يتضح من نصيحة ايفانوف لعرفات التي جاءت ضد إعلان الدولة الفلسطينية من جانب واحد، والذي كان مصدر قلق كبير لإسرائيل في ذلك الوقت. وقد جاء هذا الموقف بعد ان غير نتنياهو موقفه فجأة من روسيا مع بدء الحملة الانتخابية في اسرائيل بناءً على الافتراض الخاطئ القائل بأنه إذا حسنت إسرائيل علاقاتها مع روسيا فسوف يفوز بأصوات المهاجرين الروس في انتخابات متنازع عليها بشدة، ولم يؤيد نتنياهو سعي روسيا للحصول على مساعدات إضافية من صندوق النقد الدولي فحسب، بل شكك من خلال وزير خارجيته، أرييل شارون في تدخل الناتو في كوسوفو كما فعل الروس [2].

ربما تأثر موقف موسكو تجاه الانتفاضة المتجددة بإدراك أن واحدًا من كل أربعة من مواطني إسرائيل أصبح الآن روسيًا، وأن بعض العناصر المتطرفة نفسها التي حفزت الصراع في تلك المنطقة كانت تدعم أيضًا قوات المتمردين في الشيشان. ومع ذلك، وقفت روسيا مرة أخرى على الهامش بينما تولى الرئيس الأمريكي بيل كلينتون زمام المبادرة في محاولة التوسط في حل للصراع بين إسرائيل والفلسطينيين. وزار إيهود باراك موسكو، لكن بدا الإسرائيليون مترددين في التنازل عن دور أكبر لروسيا في مواجهة علاقاتها الدافئة مع إيران. ومع ذلك، بعد فشل محادثات كامب ديفيد في صيف عام 2000، حاولت موسكو مرة أخرى إحياء دورها، إلا أنها تعرضت للإذلال عندما فشلت في الحصول على دعوة لحضور مؤتمر أكتوبر 2000 في شرم الشيخ. لكن المؤتمر اختتم دون أي إنجاز واضح، وبدا أن الهزيمة اللاحقة لباراك على يد أرييل شارون في انتخابات شباط / فبراير 2001 قد اغلقت الباب مرة أخرى أمام فرص تسوية الصراع [3].

أصبحت روسيا عضوا في اللجنة الرباعية (إلى جانب الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة) في عام 2002. وهي صيغة أُنشئت في عام 2002 تضم الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا، وتهدف إلى التوسط في محادثات السلام في الشرق الأوسط من خلال دعم التنمية الاقتصادية الفلسطينية وبناء المؤسسات [4]. ومن وجهة نظر موسكو فإن الرباعية

---

[1] Andrej Kreutz, P. 53.

[2] Robert O. Freedman, Russian policy toward the Middle East under Yeltsin and Putin from 1991 to 2000, Jerusalem Center for Public Affairs, 2001. p. 248.

[3] Ibid, P. 331.

[4] Danil Bochkov, What Are China and Russia Saying About the Israel–Palestine Conflict? The diplomat, May 21, 2021, Accessed in 14/08/2022. https://2u.pw/2kPQH

هي الآلية المتعددة الأطراف الأكثر فاعلية لدعم تسوية قضايا الشرق الأوسط، كما تم تبنيها في قرار لمجلس الأمن الدولي. ودعمت روسيا خارطة الطريق للسلام في عام 2003 ومبادرة السلام العربية في عام 2002. وحافظت على اتصالاتها وحوارها مع جميع الأطراف المشاركة في النزاع، بما في ذلك إسرائيل والسلطة الفلسطينية وحماس وحزب الله وسوريا وإيران والمملكة العربية السعودية. كانت الأهداف الرئيسية لروسيا عند التعامل مع فلسطين هي تعزيز السلام والاستقرار في المنطقة مع الحفاظ على مصالحها ووجودها في الشرق الأوسط. وتهدف إلى تعزيز صورتها كقوة عالمية من خلال المساهمة في جهود مكافحة الإرهاب والتطرف.

ولم توافق روسيا على سياسة شارون لعزل عرفات، والتقى إيفانوف مع الزعيم الفلسطيني في مقره في رام الله في صيف عام 2003. ومع ذلك تلقى الفلسطينيين انتقادات اكثر صرامة بشأن المقاومة، وطلب ايفانوف من نظيره الفلسطيني عدم الادلاء بتصريحات تفيد بأن مواقف الجانبين تتوافق تمامًا، وفي لفتة تتعارض مع السياسة السوفيتية طلب من الجانب الفلسطيني عدم استخدام اتصالاته مع موسكو لأغراض دعائية [1].

4) المرحلة الرابعة: المرحلة الثانية لبوتين (2005– 2012)

المرحلة الرابعة، أو المرحلة الثانية لبوتين، والتي يمكن إرجاع أصلها إلى ربيع 2005، افتُتحت رسمياً في المؤتمر الصحفي السنوي للرئيس الروسي للصحفيين الدوليين في 31 يناير 2006. وقد مثلت تحول موسكو نحو سياسة خارجية أكثر استقلالية عن سياسة الغرب تجاه الفلسطينيين. ربما يكون هذا جزءًا من جهد أكبر تجاه الغرب فيما يتعلق بالفلسطينيين، وربما يكون جزءًا من جهد أكبر نحو إعادة تأكيد القوة الروسية، ولكن آثارها العملية لم تحدث تحولاً [2]. وقد شهدت عودة روسيا القوية إلى العالم العربي، والتي بدأت بتسوية ديون سوريا في عام 2005 ورحلة بوتين في فبراير 2006 إلى المملكة العربية السعودية وقطر والأردن، عودة حازمة إلى الدبلوماسية المحيطة بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني. ولكن روسيا نسقت موقفها بشكل عام فيما يتعلق بالصراع مع الغرب بصفتها عضوًا في الرباعية التي تشكلت في عام 2002. كما بدا بوتين في البداية أكثر ودية لإسرائيل من أي من أسلافه وأصبح أول رئيس دولة روسي يزور إسرائيل في أبريل 2005 [3].

زاد الدعم الروسي لحقوق الفلسطينيين تحديدًا بعد زيارة بوتين للمنطقة وفوز حماس في الانتخابات النيابية التي جرت في 25 يناير 2006. وباستقبال وفد حماس في موسكو، انحرف

[1] Danil Bochkov, What Are China and Russia Saying About the Israel–Palestine Conflict? The diplomat, May 21, 2021, Accessed in 14/08/2022. https://2u.pw/2kPQH.

[2] Andrej Kreutz, P. 53–54.

[3] Robert and others, P. 331.

الروس عن مسار العمل الغربي المتوقع، ولكن ليس عن القواعد المقبولة عمومًا لأنهم طلبوا من حماس الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود والوفاء بالتزاماتها الدولية الأخرى [1]. وقد أدت الانتخابات إلى ظهور انقسام في موقف الرباعية، حيث رفضت حماس، التي لطالما اعتبرتها الولايات المتحدة وإسرائيل منظمة إرهابية، "عملية السلام" الإسرائيلية الفلسطينية، ورفضت الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود. وكان رد الفعل الفوري في هذه الدول أنه يجب عزل حماس وعدم تقديم أي مساعدة مخصصة للشعب الفلسطيني من خلال حماس ما لم تنزع سلاحها أولاً وتعترف بإسرائيل. لذلك عبرت الولايات المتحدة وإسرائيل عن انزعاجها بشكل خاص لسماع تعليق بوتين بعد الانتخابات بأن موقف روسيا تجاه حماس يختلف عن الموقف الأمريكي والأوروبي الغربي، وأن وزارة الخارجية الروسية لا تعتبر حماس على الإطلاق منظمة إرهابية [2].

اشتد الغضب الأمريكي والإسرائيلي بعد بضعة أيام، عندما ابتعد بوتين أكثر عن الاستراتيجية الغربية لعزل حماس وأعلن أنه دعا وفدا من قادتها لزيارة موسكو. ووصف مسؤول إسرائيلي تحرك بوتين بأنه "سكين حقيقي في الظهر". ويبدو أن وزير الخارجية لافروف قد خفف جزئيًا من رد الفعل، على أي حال، من خلال طمأنة شركائه في الرباعية بأن روسيا لا تنوي الخروج عن موقف الوسطاء، وأن روسيا ستبلغ حماس بأنها ستحتاج إلى تحويل نفسها إلى حركة سياسية شرعية على غرار الجيش الجمهوري الأيرلندي في أيرلندا الشمالية. وعندما وصل وفد حماس إلى موسكو في زيارة تستغرق ثلاثة أيام في أوائل آذار/مارس، كرر لافروف هذه الرسالة بالفعل، ومن جانبه، تعمد بوتين التغيب عن المحادثات [3].

على الرغم من أن النتيجة النهائية لتدخل بوتين لم يحدث تغييرًا في سلوك حماس، وعلى الرغم من أن "عملية السلام" الإسرائيلية الفلسطينية ظلت متعثرة أكثر من أي وقت مضى بسبب الانقسام بين الفصائل الفلسطينية، فإن المبادرة الروسية كانت إشارة واضحة إلى الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى وكذلك العالم العربي أن موسكو أعادت تأكيد نفسها "كلاعب" في الشرق الأوسط.

5) المرحلة الخامسة: الولاية الرئاسية الثالثة لبوتين (2012 وحتى الوقت الحالي)

وتمتد منذ عودة بوتين للكرملين عام 2012 وحتى الان. وكان الرئيس بوتين قد زار إسرائيل والضفة الغربية في حزيران / يونيو 2012، مع 300 رجل أعمال ومسؤول سعياً منهم إلى تعزيز الروابط الاقتصادية والتجارية. وفي أوائل تشرين الثاني (نوفمبر) 2012، زار شمعون بيرس موسكو. ومع الهجرة الكبيرة لليهود الروس إلى إسرائيل، أصبح واحد من كل سبعة إسرائيليين روسي، مما

(1) Andrej Kreutz, 78.

(2) Robert and others, P. 331-332.

(3) Ibid. P. 332.

يجعل إسرائيل وجهة رئيسية للسياح الروس. وقد كان كلا البلدان قد ألغى تأشيرات السفر السياحي عام 2008، تقديراً لحركة السياحة بينهما. لكن من الناحية السياسية، تواصل موسكو اتخاذ المواقف التي تعارضها إسرائيل، حيث كررت في نوفمبر 2012، على سبيل المثال، دعم روسيا للمسعى الفلسطيني للاعتراف بها كدولة مستقلة. وفي أواخر عام 2012، رأى وزير الخارجية لافروف أن اللجنة الرباعية كانت شكلاً "غير كافٍ" لحل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني واقترح أن تعمل المجموعة مع جامعة الدول العربية للتوصل إلى حل للنزاع [1]. ويعكس هذا الموقف عدم ثقة روسيا في قدرة الرباعية بشكلها الحالي على تسوية الصراع على الرغم من موقفها بأن الرباعية هي الآلية المتعددة الأطراف الأكثر فاعلية لدعم تسوية قضايا الشرق الأوسط، كما تم تبنيها في قرار لمجلس الأمن الدولي.

لم تكن جهود روسيا ناجحة في أن تصبح وسيطًا محتملاً، حتى عندما كانت حماس أحد الاطراف المحاورة؛ ففي تشرين الثاني (نوفمبر) 2012، بعد أيام من الاشتباكات العنيفة في غزة، جلس ممثلو إسرائيل وحماس لإجراء محادثات، وكان الوسطاء المسؤولين عن جمع الأطراف معاً هم المصريين والأمريكيين وليس الروس [2].

تنتهج روسيا موقفًا أكثر حيادية بشأن الصراع، حيث تدعو كلا الطرفين إلى "تهدئة التوترات وحل القضايا الناشئة سلمياً". وتشترك روسيا مع الصين في موقف مشترك تجاه الأمم المتحدة كحجر زاوية للبنية السياسية العالمية، مع معارضة "النظام الدولي القائم على القواعد" التي تروج لها الولايات المتحدة. ويتجسد موقف موسكو وبكين بشأن تسهيل مهام قيادة الأمم المتحدة في حل النزاعات العالمية في محاولاتهم إحضار المواجهة الإسرائيلية الفلسطينية إلى مجلس الامن التابع الأمم المتحدة. وتواصل الصين وروسيا الترويج المشترك لـ "حل الدولتين" باعتباره الخيار الأفضل لتسوية سلمية، وهو الخيار الذي حظي أيضًا بدعم الأمم المتحدة. ما يعني ضمناً إقامة فلسطين كدولة مستقلة إلى جانب إسرائيل. وتعمل روسيا والأمم المتحدة على تعزيز استئناف المحادثات في إطار اللجنة الرباعية للشرق الأوسط [3].

وتشعر روسيا، التي لديها أفكار لاستئناف محادثات السلام في الشرق الأوسط، بالقلق إزاء عدم وجود اتفاق دائم حول كيفية استئناف عملية السلام ومحادثات السلام. وتعتقد روسيا أن تنفيذ قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بعد مؤتمر مدريد واتفاقيات أوسلو (1،2) أمر ضروري

---

[1] Robert and others, P. 331-332.

[2] Ibid. P. 332-333.

[3] Danil Bochkov, What Are China and Russia Saying About the Israel-Palestine Conflict? The diplomat, May 21, 2021, Accessed in 14/08/2022. https://2u.pw/2kPQH

للغاية. وهذا يتطلب حوارا مباشرا واستئناف عملية التفاوض. وإذ يساورها القلق إزاء تصعيد الأوضاع في القدس الشرقية ومحيط قطاع غزة، فان موسكو ترى أن التهدئة الفورية ضرورية، لصالح الفلسطينيين والإسرائيليين، وأنها تسعى إلى تحقيق هذا الهدف من خلال استخدام علاقاتها مع الطرفين ودول أخرى في المنطقة وكعضو في المجموعة الرباعية. وبحسب روسيا، فإن تطبيع العلاقات بين إسرائيل والدول العربية يجب ألا يغفل الاهتمام الدولي بالقضية الفلسطينية.

من وجهة نظر موسكو، فإن تصعيد العنف يتعارض مع القانون الدولي وعقبة أمام التسوية السلمية للوضع، على أساس وجود الدولتين الفلسطينيتين والإسرائيليتين المستقلتين على الحدود المعترف بها دوليًا عام 1967 وإرساء السلام والأمن لكل الشعوب المقيمة في تلك المنطقة. وتؤكد روسيا في المادة 92 من وثيقة استراتيجية سياستها الخارجية، التي تم تبنيها في تشرين الثاني (نوفمبر) 2016، أنها ستواصل حل النزاع العربي الإسرائيلي على أساس القانون الدولي. ولا تريد روسيا أن تضيع فرصتها المحورية في القضية الفلسطينية بعد أن اتخذت الولايات المتحدة إجراءات أحادية الجانب لصالح إسرائيل. وقد صرح رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس بأنه لن يعمل في إطار عملية السلام الأمريكية بعد أن أعلن ترامب نقل السفارة الأمريكية في القدس، ودعا روسيا والعديد من المنظمات لقبول دور في عملية السلام، وقد قامت موسكو بزيادة العلاقات مع فلسطين، لا سيما وانها تعرف أن قضية فلسطين هي دائما موضع اهتمام المسلمين. وهذا يدعم تنمية علاقاتها مع الدول الإسلامية في منظمة التعاون الإسلامي التي تتواجد فيها كعضو مراقب، بينما سيؤدي ميلها لصالح إسرائيل إلى كسر هذه العلاقة. وهذا يضر بالهدف الرئيسي لسياسة بوتين الخارجية في السنوات الأخيرة المتمثل في إعادة روسيا إلى "أعلى مستوى في السياسة العالمية والشرق أوسطية"[1].

المبحث الرابع: دور ومحددات وتحديات السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية ودوافعها

1) دور روسيا في عملية السلام

يعود اهتمام روسيا بالقضية الفلسطينية إلى الحقبة السوفيتية عندما عززت موسكو علاقات وثيقة مع القيادة الفلسطينية وتعاطفها مع روايتها. وروسيا عضو في اللجنة الرباعية بشأن القضية الفلسطينية وتأمل أن تلعب دورا في التوسط في أي اتفاق سلام إسرائيلي– فلسطيني حتى ولو كان الدور رسميا بحتا. وكان وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف قد قال عام 2018 إن موسكو تسعى لإحياء المحادثات الإسرائيلية الفلسطينية لأن التسوية ممكنة فقط من خلال الحوار المباشر.

[1] Mahmoud Fazeli. Russia's Effort to Play a Greater Role in the Palestinian Cause, Strategic council on foreign relations, 19/05/2021. Accessed in 14/08/2022. https://2u.pw/90lWh

وبحسب ما ورد، وافق رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس على اقتراح روسيا بعقد قمة، لكن نتنياهو رفض الفكرة [1].

روسيا اعترفت بالقدس الغربية عاصمة لإسرائيل قبل ثمانية أشهر من واشنطن ؛ لكن على عكس واشنطن اعترفت بالقدس بالشرقية عاصمة لفلسطين. وتأمل روسيا في تقديم نفسها كبديل أكثر قبولا للولايات المتحدة في الوساطة الإسرائيلية الفلسطينية. وقد استشهدت روسيا في الآونة الأخيرة بالإعلان الأمريكي بشأن القدس كدليل على أن الولايات المتحدة لم تعد قادرة على أن تكون وسيطا نزيها. إلى حد ما، روسيا هي واحدة من اللاعبين الدوليين القلائل الذين يحتفظون بعلاقات جيدة مع كل من السلطة الفلسطينية وحماس، وكذلك مع إسرائيل. ومع ذلك، يبدو أن موسكو تدرك أنه لا توجد إمكانية حالية لإطلاق عملية السلام من جديد، وبالتالي فهي لا تشدد على هذه القضية، فهي تريد عملية سلام للمشاركة فيها لإظهار مكانة روسيا كقوة عظمى [2].

كانت روسيا ثابتة في سنوات إدارة دونالد ترامب في انتقاد نهج واشنطن لتهميش المشكلة الفلسطينية. ودعت إلى تجديد المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية، واقترحت مكانا للاجتماع، وحاولت تحقيق الوحدة بين الفصائل الفلسطينية من خلال الحفاظ على قنوات اتصال مفتوحة مع السلطة الفلسطينية وحماس. وردت روسيا بتشكك على اتفاقيات أبراهام وادعت أنها، على الرغم من كونها تطورا إيجابيا، لا يمكنها الالتفاف على حل القضية الفلسطينية التي تعتبر واحدة من المشاكل الأساسية المزعزعة للاستقرار في الشرق الأوسط. وبدلا من ذلك، دعت إلى عقد مؤتمر على المستوى الوزاري لعملية السلام في الشرق الأوسط مع الرباعية ومصر والأردن والإمارات العربية المتحدة والبحرين والإسرائيليين والفلسطينيين. في نظر روسيا، تثبت الأزمة الحالية صحة موقفهم، حيث أصبحت المشكلة الفلسطينية مرة أخرى على رأس جدول أعمال المنطقة والمجتمع الدولي[3].

وقد زار الرئيس الفلسطيني محمود عباس روسيا في فبراير / شباط 2018 لإطلاع بوتين على التطورات في القضية الفلسطينية. وبحسب ما ورد يحاول إقناع موسكو بلعب دور أكبر في القضية الفلسطينية، بسبب اقتناعه بأن الولايات المتحدة لم تعد قادرة على القيام بدور الوساطة. وفي آذار / مارس، وصل وفد من حماس برئاسة عضو المكتب السياسي موسى أبو مرزوق إلى موسكو لبحث مستقبل المصالحة ودور روسيا في المنطقة [4].

---

[1] Joshua Krasna, Moscow on the Mediterranean: Russia and Israel's Relationship, the Foreign Policy Research Institute, USA, 018. P. 19-20.

[2] Joshua Krasna, P. 19-20.

[3] Aref Bijan, The Future of Peace in the Middle East: Russia's Approach to Israeli-Palestinian Conflict, Journal of Iran and Central Eurasia Studies, Russia, 2020. P. 62.

[4] Joshua Krasna, P. 19-20.

ويعتبر دور روسيا دور وسيط محتمل وفاعل، لكنه ليس لاعبا حاسما، حيث تساهم روسيا في بعض جوانب عملية السلام، ولكن ليس بشكل حاسم على نتائجها أو توجيهها، ومع ذلك تتحدد مواقفها في دعم الدولة الفلسطينية وسيادتها، حيث تعترف روسيا بالدولة الفلسطينية منذ عام 1988، وتدعم قبولها في المنظمات الدولية، مثل اليونسكو والإنتربول. كما تدعم روسيا إقامة دولة فلسطينية داخل حدود عام 1967، وعاصمتها القدس الشرقية، على أساس صيغة حل الدولتين، ومبادرة السلام العربية، وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة. وتعمل على تسهيل المصالحة الداخلية والانتخابات الديمقراطية، وتستخدم من اجل ذلك حوارها واتصالاتها مع جميع الفصائل الفلسطينية لتشجيع المصالحة الداخلية والانتخابات الديمقراطية. وقد استضافت روسيا عدة اجتماعات بين ممثلي فتح وحماس في موسكو في السنوات الأخيرة كان اخرها عام 2019، لبحث سبل إنهاء الانقسام وتشكيل حكومة وحدة وطنية. كما تدعم روسيا إجراء انتخابات برلمانية ورئاسية في فلسطين، والتي تأجلت منذ عام 2006 [1].

وتستخدم روسيا موقفها المتوازن والمحايد للتوسط بين الفلسطينيين والإسرائيليين أو الجهات الفاعلة الأخرى في مختلف القضايا المتعلقة بالصراع. على سبيل المثال، توسطت روسيا في اتفاق لتبادل الأسرى بين إسرائيل وحماس في عام 2011 ؛ وتوسطت روسيا في اتفاق لوقف إطلاق النار بين إسرائيل والجهاد الإسلامي في عام 2019 ؛ وتوسطت روسيا في اتفاق لخفض التصعيد بين إسرائيل وسوريا في عام 2018. وتشارك روسيا في آلية اللجنة الرباعية، إلى جانب الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، المكلفة بتسهيل المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين على أساس خريطة الطريق للسلام، وعملت على احياء دورها بعد انتهاء ادارة ترامب التي تجاهلت قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وآليات التسوية الجماعية. وتشارك روسيا أيضا في المنتديات الإقليمية والدولية الأخرى التي تتناول عملية السلام في الشرق الأوسط، مثل المؤتمر الدولي للسلام في باريس في عام 2016 ؛ مؤتمر ميونيخ للأمن في عام 2020 [2].

2) محددات السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية

تعتمد سياسة روسيا الخارجية تجاه فلسطين على علاقاتها التاريخية والأيديولوجية مع القضية الفلسطينية، بالإضافة إلى صورتها الذاتية وهويتها كقوة عالمية وفاعل مسؤول. وتسعى روسيا أيضًا إلى تعزيز قيمها ومصالحها في الشرق الأوسط وتعزيز التفاهم المتبادل والحوار بين الأطراف المختلفة. وتمثل المحددات التالية سياسة روسيا تجاه القضية الفلسطينية:

[1] Aref Bijan, P. 62.

[2] Aref Bijan, 2020. P. 63.

- الاعتراف بالحقوق التاريخية والمشروعة للشعب الفلسطيني في تقرير المصير والاستقلال، وهو ما يتماشى مع احترامها للقانون الدولي وحقوق الإنسان.
- دعم الحل السلمي والشامل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، على أساس صيغة حل الدولتين، ومبادرة السلام العربية، وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، بما يتماشى مع التزام روسيا بالتعددية والدبلوماسية، وكذلك مع رؤيتها لنظام إقليمي عادل ومستقر.
- الحفاظ على حوارها واتصالاتها مع جميع الفصائل الفلسطينية، بما في ذلك حماس، بما يتفق مع نهج روسيا الشامل والبراغماتي تجاه الشرق الأوسط، وكذلك مع إيمانها بالحوار والتفاوض كأفضل وسيلة لحل النزاعات.
- موازنة علاقاتها مع كل من إسرائيل والدول العربية، التي تعتبرها شركاء مهمين لروسيا في مختلف المجالات، مثل التجارة والطاقة والتكنولوجيا والأمن ومكافحة الإرهاب، بما يتفق مع سياسة روسيا الخارجية البراغماتية والمرنة، وكذلك مع رغبتها في تجنب الانحياز لأي طرف أو عزله.
- التعاون مع الجهات الدولية الفاعلة الأخرى، مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، في إيجاد حل سلمي وشامل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي على أساس القانون الدولي، وبما يتفق مع المادة 92 من وثيقة استراتيجية السياسة الخارجية، وسلوك روسيا التعاوني والمسؤول على الساحة الدولية. من وجهة نظر موسكو، فإن عقد اجتماع رباعي على المستوى الوزاري أمر حاسم في استئناف الجهود لتنفيذ القرارات المتعلقة بمبدأ الدولتين. و تعتقد روسيا أن تنفيذ قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بعد مؤتمر مدريد واتفاقات أوسلو (أوسلو –1 وأوسلو –2) أمر ضروري للغاية. وهذا يتطلب حوارا مباشرا واستئناف عملية التفاوض، ووقف تصعيد الأعمال العدائية بأي ثمن لأن المدنيين يموتون على كلا الجانبين [1].

3) التحديات امام الدور الروسي في القضية الفلسطينية

لسنوات، التزمت روسيا لسنوات بالموقف القائل بأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني يؤثر سلباً على الأجواء في الشرق الأوسط وخارجه، وأن عدم وجود حل سيؤدي إلى تسريع الاتجاهات الخطيرة، بما في ذلك التطرف الديني والسياسي والإرهاب ؛ ومن هنا اهتمامها بإطلاق العملية السياسية. وتحاول روسيا ممارسة النفوذ في الشرق الأوسط وهي ساحة خلاف مع الولايات المتحدة. وقد دفعت سلسلة المشاكل الداخلية التي تشغل الولايات المتحدة مثل عدم قدرة واشنطن المثبتة على دفع إسرائيل لاتخاذ خطوات من شأنها أن تسمح بتجديد الحوار مع السلطة الفلسطينية، وصورة العجز الأمريكي في الشرق الأوسط، وإزالة العملية السياسية من على رأس الأجندة الأمريكية بعد أحداث الربيع العربي،

[1] Aref Bijan, The Future of Peace in the Middle East: Russia's Approach to Israeli–Palestinian Conflict, Journal of Iran and Central Eurasia Studies, Russia, 2020. P. 65.

روسيا إلى محاولة ترسيخ نفسها كقائد للعملية. وقد أعربت روسيا عن دعمها لإنشاء جبهة دولية واسعة لتوجيه العملية السياسية. وكان من بين المرشحين للإدراج في مثل هذه الجبهة "القوى الجديدة" الصين والهند وكذلك ماليزيا وجنوب إفريقيا ودول أخرى في المنطقة لم تكن لها ارتباطات سلبية بالشرق الأوسط. ومع ذلك، قررت الولايات المتحدة تهميش روسيا. حتى بعد إطلاق برنامج" إعادة الضبط "،الذي كان يهدف في المقام الأول إلى تشجيع روسيا على المشاركة في العقوبات ضد إيران[1]. في الآونة الأخيرة، مع ازدياد الانخراط الروسي في المنطقة وفي سوريا بشكل خاص تغيرت أولويات موسكو الا انها دعت الى العودة للمفاوضات لإحياء عملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية، على افتراض أنها تستطيع استغلال العملية لإعادة بناء نفسها كعنصر مؤثر في المنطقة.

في أعقاب تدخلها العسكري في سوريا في عام 2015، كثفت روسيا نشاطها الدبلوماسي في الشرق الأوسط، وسعت إلى تقديم نفسها كوسيط محايد في نظر الجهات الفاعلة الإقليمية من خلال الحفاظ على العلاقات مع الأطراف المتعارضة في الخليج وسوريا وفي الصراع الإسرائيلي الفلسطيني والذي يتمتع بأهمية خاصة بالنسبة لروسيا من منظور البحث عن المكانة، وذلك بالظهور كوسيط عادل، بينما كانت الولايات المتحدة في عهد دونالد ترامب تنحاز لإسرائيل، وهو ما اعتبره الدبلوماسيون الروس محوريا لتعزيز صورة روسيا في المنطقة نظرا لصدى الصراع في العالم العربي [2].

بعد الغزو الروسي لأوكرانيا عام 2022، صوتت إسرائيل لصالح قرارات الأمم المتحدة التي تدين روسيا وتدعم تعليق عضويتها في مجلس حقوق الإنسان التابع للمنظمة. ومع ذلك، لم يتغير شيء بشأن قواعد الاشتباك في سوريا حتى الآن. وبدلا من ذلك، اختارت موسكو ردودا رمزية وأقل تكلفة. حيث دعت إسرائيل إلى نقل كنيسة ألكسندر نيفسكي في القدس إلى روسيا، ونددت بإسرائيل بسبب سلوكها في القدس الشرقية والضفة الغربية، وهو ما جعل موسكو تبدو وكأنها تتخلى عن موقفها كفاعل محايد في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وأدانت وزارة الخارجية الروسية تصويت إسرائيل لصالح استبعاد موسكو من مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة باعتباره "هجوما مناهضا لروسيا" و"محاولة سيئة التمويه للاستفادة من الوضع في أوكرانيا لصرف انتباه المجتمع الدولي عن أحد أقدم النزاعات التي لم يتم حلها وهو الصراع الفلسطيني الإسرائيلي." وهكذا سعت إلى تذكير جمهورها بهذا الصراع من خلال ذكر "الضم الزاحف لفلسطين"، وبأن "قطاع غزة أصبح سجنا في الهواء الطلق" والاشارة الى أن إسرائيل "تحافظ على أطول احتلال في تاريخ العالم بعد الحرب[3].

---

[1] Zvi Magen, Russia and the Middle East: Policy Challenges, Memorandum 127, INSS, Tel Aviv university, 2013. P. 55-56.

[2] Milan Czerny, The End of Russia's Balancing Act in the Israeli-Palestinian Conflict, Riddle,02 May 2022. Accessed in 22/8/2023. https://2u.pw/dvObIvT.

[3] Milan Czerny, https://2u.pw/dvObIvT.

مثل هذه التصريحات تمثل تحولا واضحا في الخطاب الروسي، بخلاف موقفها المحايد في عدوان مايو 2021 الاسرائيلي على قطاع غزة، اذ لم تعد روسيا تهتم بتقديم نفسها كوسيط محايد في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. بدلاً من ذلك، تسعى إلى تعزيز علاقتها مع حلفائها في الشرق الأوسط، بما في ذلك الفلسطينيين، حيث شارك بوتين في إظهار الدعم للجانب الفلسطيني من خلال مناقشة "تصعيد التوتر في الضفة الغربية وفي القدس الشرقية" مع زعيم السلطة الفلسطينية محمود عباس. كما أجرى ميخائيل بوجدانوف، ممثل بوتين في الشرق الأوسط، اتصالا مع عضو في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وأخيرا، تحدث سيرجي لافروف مع إسماعيل هنية، الزعيم السياسي لحماس [1].

تواصل روسيا دعم "حل الدولتين" باعتباره أفضل خيار للتوصل إلى تسوية سلمية، وهو ما حظي أيضا بدعم الأمم المتحدة. في 13 مايو، دعا بوتين، مع الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، إلى إنهاء الصراع الإسرائيلي الفلسطيني من خلال "حل الدولتين"، مما يعني إنشاء فلسطين كدولة مستقلة إلى جانب إسرائيل. وتعمل روسيا والأمم المتحدة على تشجيع استئناف المحادثات في إطار اللجنة الرباعية للشرق الأوسط. ويعارض ممثلو المجموعة الموالية لإسرائيل عملية السلام، في محاولة لإقناع الآخرين بأنها مهمة غير واقعية. ويشوهون مصداقية أي محادثات سياسية مع الفلسطينيين، مدعين أنه لا يوجد شريك بينهم يستحق الثقة ويهتم حقا بالسلام. ويصرون على أن إقامة الدولة الفلسطينية لا علاقة لها بالمصالح الوطنية الروسية. ووفقا لهذا المنطق، فإن مصلحة روسيا في تطوير علاقات اقتصادية متنوعة مع إسرائيل في حين لا يوجد أي أساس لأي تعاون اقتصادي مثمر مع الفلسطينيين. إن التأثير القوي لهذه الآراء يمكن لمسه في المنظمات اليهودية الرئيسية في روسيا. وهناك أيضا اتجاه في الدوائر الأكثر ليبرالية في المجتمع الفكري الروسي لإضفاء الطابع المثالي على إسرائيل باعتبارها "دولة طيبة وذكية ومتحضرة في الصحراء" وانتقاد الفلسطينيين غير القادرين على إنشاء دولتهم الخاصة وينتجون باستمرار الإرهابيين الانتحاريين فقط. على الجانب الآخر من هذا النقاش هناك من يؤيدون الخطاب الفلسطيني حول الصراع. من بينهم أنصار ما يسمى الأيديولوجية الأوراسية، التي تعلن الخصوصية الروسية على أساس القيم والتقاليد الخاصة [2].

ومع ذلك، فإن المهم بالنسبة لروسيا هو توسيع دورها كصانع سلام وفاعل أساسي في تسوية الشرق الأوسط. الا ان مسألة دور اللوبي اليهودي القوي والمستثمرين في روسيا يجعل روسيا قلقة من ضغط اللوبي. من ناحية أخرى، فإن الروس الذين يعيشون في إسرائيل، يشكلون مصدر قلق

[1] Ibid.

[2] Aref Bijan, P. 65.

كبير لبوتين وخاصة احترام سلامتهم [1]. وتواجه السياسة الروسية تحديات اخرى في تحقيق أهدافها وتعزيز دورها في القضية الفلسطينية، وتشمل:

- الانقسام بين الفصائل الفلسطينية، وخاصة بين فتح وحماس، مما يعوق آفاق المصالحة الداخلية والانتخابات الديمقراطية.
- غياب التقدم والإرادة السياسية في عملية السلام، التي تعطلت بسبب الاحتلال الإسرائيلي، والتوسع الاستيطاني، والعنف، والإجراءات الأحادية، والتحيز الأمريكي.
- في حين أن روسيا هي الفاعل الدولي الرئيسي الوحيد القادر على التواصل مباشرة مع جميع الأطراف والفصائل، إلا أن موسكو تفتقر إلى الأدوات اللازمة للضغط على إسرائيل أو الفلسطينيين لتغيير مواقفهم. الى جانب دورها المحدود في الوساطة بينهم وبين إسرائيل لذلك، فإن دبلوماسيتها الاستباقية متعددة الأطراف تهدف إلى إثبات للغرب أنها قوة عالمية مسؤولة [2].
- التحولات الإقليمية، التي تأثرت باتفاقات إبراهيم بين إسرائيل والعديد من الدول العربية، والتي غيرت المشهد الإقليمي وقلصت من مركزية القضية الفلسطينية، والضغط الامريكي لاستكمال التطبيع، واعادة تموضع دول المنطقة، وانعكاسات الحرب الروسية الاوكرانية على المنطقة.

4) دوافع السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية

للشرق الأوسط أهمية تاريخية واستراتيجية بالنسبة لروسيا. كانت روسيا الإمبراطورية والاتحاد السوفيتي قوى خارجية نشطة في الشرق الأوسط، منخرطة في منافسات مع الإمبراطورية العثمانية والإمبراطوريات الفارسية والإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية. خلال الحرب الباردة، كان المنافس السوفيتي في الشرق الأوسط، بالطبع، الولايات المتحدة. أدى انهيار الاتحاد السوفيتي إلى هيمنة امريكية بلا منازع في المنطقة، حيث لم تتمكن موسكو من إعادة تأكيد نفسها خلال حرب الخليج الثانية والربيع العربي وحملة قصف الناتو في ليبيا. كانت روسيا محبطة بسبب عدم قدرتها على إيقاف الولايات المتحدة من خلال علاقاتها الثنائية، أو من خلال مجلس الأمن الدولي، أو على الأرض. وأدى انهيار العلاقات الغربية الروسية الناجم عن أزمة أوكرانيا عام 2014 إلى قيام بوتين بإعادة التفكير في السياسة الخارجية الروسية، واتخاذ مبادرة أكبر في مسارح متعددة، والتصرف في اطار توقع الصراع مع الغرب[3].

---

[1] Ibid. P. 68.

[2] Ibid. P. 67.

[3] Amos Gilead and others, Russia in the Middle East: National Security Challenges for the United States and Israel in the Biden Era, Wilson center. Accessed in 22/8/2023. https://2u.pw/iCbFxzG

وتتشكل سياسة روسيا تجاه الفلسطينيين من خلال مزيج من الدوافع التاريخية والأيديولوجية والاستراتيجية والبراغماتية. تاريخياً، روسيا لديها تاريخ طويل ومعقد من الانخراط في القضية الفلسطينية، التي يعود تاريخها إلى أواخر القرن الـ 19، عندما دعمت الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، إلى الحقبة السوفيتية، عندما تحالفت مع الحركات القومية العربية والاشتراكية واعترفت بالدولة الفلسطينية في عام 1988، إلى فترة ما بعد الاتحاد السوفيتي، عندما اعتمدت نهجا أكثر توازنا وبراغماتية تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. ولدى روسيا أيضا روابط ومصالح تاريخية في الأرض المقدسة، فضلا عن عدد كبير من المهاجرين الناطقين بالروسية في إسرائيل. وايديولوجياً، لدى روسيا تقارب أيديولوجي معين مع القضية الفلسطينية، حيث تدعم مبدأ تقرير المصير وقرارات الأمم المتحدة التي تؤكد حقوق الشعب الفلسطيني. وتعارض روسيا أيضا التدخل والاحتلال الأجنبي في المنطقة، فضلا عن الأعمال الأحادية التي تقوض القانون الدولي والتعددية، التي تعتبرها روسيا ضرورية لاستعادة مكانتها الدولية. كما تسعى روسيا إلى تعزيز قيمها ومصالحها في الشرق الأوسط، مثل السيادة والأمن والاستقرار والتعاون والحوار [1].

وتتحدد مقاربة روسيا تجاه القضية الفلسطينية وفقاً لعدة عوامل، أهمها: أولا، دور روسيا الفعال في الصراع الأكثر أهمية في الشرق الأوسط، بحيث يتم الاعتراف بموقف روسيا من قبل الأطراف الإقليمية وعبر الإقليمية. ثانيا؛ محاولة الحفاظ على التوازن في العلاقات الروسية مع المثلث الاسرائيلي؛ السلطة الفلسطينية والجماعات الفلسطينية في الضفة الغربية والدول العربية الداعمة مثل مصر وقطر، وحماس، وإيران. ثالثا، يجب أن يكون لمشاركة روسيا في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مكاسب مقبولة على مستوى المصلحة الوطنية. وعلى الرغم من أن روسيا تريد أن تلعب دورا وسيطا فيما يتعلق بإسرائيل وفلسطين، إلا أنها لا تعتبر أنه من مصلحتها التسرع في هذا المجال[2].

واستراتيجياً، لروسيا مصلحة استراتيجية في الحفاظ على وجودها ونفوذها في المنطقة القريبة من حدودها والتي تحظى بأهمية استراتيجية لأمن الطاقة والتجارة والدفاع. وترى روسيا ان الصراع اذا انتشر دون حسيب ولا رقيب، فمن الواضح أنه سيشكل خطرا" عليها. وتسعى روسيا أيضا إلى تحقيق التوازن مع نفوذ القوى الإقليمية والعالمية الأخرى، مثل الولايات المتحدة واوروبا وإسرائيل وإيران وتركيا والمملكة العربية السعودية. كما تسعى روسيا إلى تعزيز مكانتها وسمعتها كقوة عالمية وفاعل مسؤول، من خلال المشاركة في عملية السلام والوساطة بين مختلف الأطراف. وبراغماتياً: لدى روسيا مصلحة براغماتية في تطوير علاقاتها مع كل من إسرائيل والدول العربية، التي تعد شركاء مهمين لروسيا في مختلف المجالات، مثل التجارة والطاقة والتكنولوجيا والأمن ومكافحة الإرهاب. كما

[1] Aref Bijan, P. 69.

[2] Aref Bijan, P. 62.

أن لروسيا مصلحة براغماتية في التعاون مع الجهات الفاعلة الدولية الأخرى، مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، في إيجاد حل سلمي وشامل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي [1].

الخاتمة:

تطورت السياسة الخارجية الروسية تجاه القضية الفلسطينية بمرور الوقت وفقاً للمصالح والاستراتيجيات المتغيرة لروسيا في الشرق الأوسط. وتستند علاقات روسيا مع الفلسطينيين إلى عدد من العوامل، بما في ذلك المصالح المشتركة في الشرق الأوسط، والروابط الدينية، وتاريخ التعاون. ويرى الفلسطينيون في روسيا قوة دولية مهمة يمكن أن تساعدهم في تحقيق أهدافهم، بينما تعتبر روسيا الفلسطينيين شريكاً مهماً في جهودها للحفاظ على الاستقرار في الشرق الأوسط. وقد كانت روسيا لاعباً مهما في المنطقة لأكثر من قرن، وحاولت استعادة نفوذها في العديد من البلدان بعد تراجعها الاستراتيجي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. ومع ذلك، لا تسعى روسيا إلى المواجهة مع الولايات المتحدة أو مع الغرب بشكل عام في المنطقة. وبدلا من ذلك، تهتم روسيا بالسلام والاستقرار في المنطقة القريبة من حدودها. لذلك، تسعى روسيا إلى التوصل إلى حل سلمي ومتوازن للصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وتواصل روسيا دعمها لإقامة دولة فلسطينية، لكنها تسعى أيضًا إلى الحفاظ على علاقات جيدة مع إسرائيل. وقد حاولت روسيا باعتبارها لاعباً عالمياً مهماً، أن تلعب دوراً وسيطاً نظراً لعلاقاتها الممتدة بالمنطقة، وللروابط الاقتصادية والثقافية والعاطفية المختلفة التي تربطها بدول المنطقة. وقد جعلت هذه العلاقات روسيا واحدة من اللاعبين الرئيسيين في الشرق الأوسط، وخاصة في حل الصراعات والتحديات في المنطقة.

تختلف السياسة الخارجية الروسية تجاه القضية الفلسطينية عن السياسة الامريكية، حيث تحافظ على موقف متوازن ومحايد تجاه الصراع، مع مراعاة المصالح الفلسطينية والإسرائيلية. وتلتزم روسيا بإقامة دولة فلسطينية مستقلة على أساس قرارات مجلس الأمن الدولي ومبدأ إنشاء دولتين مستقلتين وتؤكد احترام الطرفين لقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة وجهود المجتمع الدولي لإقامة الدولتين. وتعتقد روسيا أنه يجب تقسيم القدس إلى أجزاء شرقية وغربية، مع حكم إسرائيل في الجزء الغربي وفلسطين في الجزء الشرقي. وترفض محاولات تغيير الطابع الجغرافي والديموغرافي والتاريخي في القدس الشرقية، كما تدين روسيا التوسع الاستيطاني والاحتلال الإسرائيلي مشيرة إلى أن هذه الأعمال غير القانونية تقلل من إمكانية تحقيق سلام عادل وإقامة حل الدولتين للصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وتؤيد حق الفلسطينيين في تقرير المصير والاستقلال، وترى بأن عدم وجود عملية تفاوض مباشرة هو السبب الرئيسي للتصعيد الحالي. وتدير روسيا علاقات أيضا مع جميع الفصائل الفلسطينية، بما

[1] Aref Bijan, The Future of Peace in the Middle East: Russia's Approach to Israeli–Palestinian Conflict, Journal of Iran and Central Eurasia Studies, Russia, 2020. P. 57.

في ذلك حماس. وتشارك أيضا في آلية المجموعة الرباعية والمحافل الأخرى التي تتناول عملية السلام. وتؤيد أيضا أي مبادرات أو قرارات دولية تستند إلى القانون الدولي والتعددية. وتؤيد روسيا أيضا مبادرة السلام العربية.

سياسة روسيا تجاه الفلسطينيين تتشكل من خلال مزيج من الدوافع والمصالح التاريخية والأيديولوجية والاستراتيجية والبراغماتية، مثل الحفاظ على وجودها ونفوذها في المنطقة ؛ وتعزيز السلام والاستقرار في المنطقة ؛ ودعم السعي الفلسطيني لإقامة الدولة وتحقيق السيادة ؛ وموازنة علاقاتها مع كل من إسرائيل والدول العربية; والتعاون مع الجهات الفاعلة الدولية الأخرى. بعض التحديات التي تواجهها روسيا تتمثل في التعامل مع انعدام الثقة والتعاون بين الفصائل الفلسطينية ؛ التعامل مع عدم التقدم وغياب الإرادة السياسية في عملية السلام ؛ التعامل مع افتقارها إلى النفوذ والتأثير على الأرض مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية ؛ والتعامل مع التحولات الإقليمية المعقدة. كما ان روسيا دائما حساسة تجاه الروس خارج حدودها ومنهم اليهود الروس في اسرائيل، الى جانب تأثر روسيا بمسألة دور اللوبي اليهودي القوي والمستثمرين في روسيا.

دور روسيا في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي هو دور وسيط محتمل وفاعل داعم، لكنه ليس لاعباً حاسماً. روسيا لديها محددات وتحديات في مشاركتها في عملية السلام، والتي تؤثر على دورها وفعاليتها. ويعتبر تأثير روسيا على عملية السلام متواضع ولكنه إيجابي، لأنه يساهم في بعض جوانب عملية السلام، ولكن ليس له تأثير حاسم على نتائجها أو اتجاهها، حيث تدعم روسيا المصالحة الداخلية الفلسطينية والانتخابات الديمقراطية، وتتوسط بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وتشارك في آلية اللجنة الرباعية والمحافل الأخرى التي تتناول عملية السلام. ويمكن لروسيا ان تعزز من دورها ومساهمتها في عملية السلام من خلال توظيف علاقاتها الجيدة مع كل من إسرائيل والدول العربية لتعزيز التعاون الإقليمي، وموقفها المتوازن والحيادي للتوسط بين الفلسطينيين والإسرائيليين؛ وحوارها واتصالاتها مع جميع الفصائل الفلسطينية لتسهيل المصالحة الداخلية والانتخابات الديمقراطية، ومن خلال زيادة مشاركتها العملية ودعمها للفلسطينيين واستقلالهم بما يتجاوز الدبلوماسية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. Arnold Krammer, Soviet Motives in the Partition of Palestine, 1947-48. Journal of Palestine Studies, 1973.
2. Bijan, Aref, The Future of Peace in the Middle East: Russia's Approach to Israeli-Palestinian Conflict, Journal of Iran and Central Eurasia Studies, Russia, 2020.

3. Bochko, Danil, What Are China and Russia Saying About the Israel–Palestine Conflict? The diplomat, May 21, 2021, Accessed in 14/08/2022. https://2u.pw/2kPQH
4. Casula, Philipp and Mark N. Katz, The Middle East, Routledge Handbook of Russian Foreign Policy. (ed) Andrei Tsygankov, Abington: Routledge, London and New York, 2018. P. 299.
5. Czerny, Milan, The End of Russia's Balancing Act in the Israeli–Palestinian Conflict, Riddle,02 May 2022. Accessed in 22/8/2023. https://2u.pw/dvObIvT.
6. Donaldson, Robert H. and Joseph L Nogee, The Foreign Policy of Russia: Changing Systems, Enduring Interests, fifth edition, Routledge London and New York, 2015.
7. Fazeli , Mahmoud. Russia's Effort to Play a Greater Role in the Palestinian Cause, Strategic council on foreign relations, 19/05/2021. Accessed in 14/08/2022. https://2u.pw/90lWh
8. Freedman, Robert O., Russian policy toward the Middle East under Yeltsin and Putin from 1991 to 2000, Jerusalem Center for Public Affairs, 2001.
9. Galla, Golem, The Soviet Union and the Palestine Liberation Organization, Praeger Publishers, USA, 1980.
10. Gilead, Amos and others, Russia in the Middle East: National Security Challenges for the United States and Israel in the Biden Era, Wilson center. Accessed in 22/8/2023. https://2u.pw/iCbFxzG
11. Krasna, Joshua, Moscow on the Mediterranean: Russia and Israel's Relationship, the Foreign Policy Research Institute, USA, 2018.
12. Kreutz, Andrej, Russia in the Middle East: Friend or Foe? Praeger Security International, London, 2007.
13. Magen, Zvi, Russia and the Middle East: Policy Challenges, Memorandum 127, INSS, Tel Aviv university, 2013.
14. Rashid Khalidi, The Iron Cage: The Story of the Palestinian Struggle for Statehood. Boston: Beacon Press, 2007.